الفرقة القومية فى عهدها الجديد :

ألحان سيد درويش

تجىء فى وقتها المناسب

لإنقاذ المصريين من الغناء المريض

افتتحت الشعبة الغنائية بالفرقة القومية موسمها برواية الأميرة شهرزاد — أو شهر زاد كما سميت أخيرا — للموسيقار الموهوب المرحوم سيد درويش ، فكان هذا توفيقا كاملا للفرقة فى عهدها الجديد ، توفيقا يجئ فى وقته المناسب لإنقاذ المصريين من الأغانى والألحان المريضة المائعة ، التى تلح على آذانهم منذ خمسة عشر عاما ، لا يسمعون سواها من الغناء الإنسانى السليم .

يارحمة الله !

جئت فى أوانك . فشكرا لله !

إن هذه الأمة بخير ما دامت عناية الله تدركها هكذا فى اللحظة الأخيرة ؛ فمنذ أن مات " سيد درويش " وهى قلما سمعت لحنا تدب فيه الحياة ، أو أغنية واحدة تعبر عن شعور سليم ، حتى لقد تخدرت أعصابها بتلك المخدرات التى تصب عليها فى كل آن ، وتحطم شعورها فى كل لحظة ، وتنفث فيها الرخاوة و " الميوعة " وتفسد فيها الفطرة البشرية ، حينما يتغنى الرجل وفى ألحانه طراوة المرأة وتكسرها وتميعها .

وحين تشرف الأمة على الهاوية يقيض الله لها من يبعث فيها ألحان " سيد درويش " ألحان الرجل الذى تنضح فطرته بالرجولة ، وينضح حسه بالسلامة . الرجل الفنان الذى يعتز بفنه ولا يتخذ منه تجارة رخيصة ، غرضه منها الربح المادى الحقير . الرجل الذى لا يحسب نجاح ألحانه بعدد ما يطلب منها من الأسطوانات فى السوق وهو يعلم أن أكثر الطلب إنما ينصب على أحط الأغنيات وأشدها إثارة للغرائز والشهوات .

كتبت مجلة الاثنين بمناسبة العرض الأول لألحان سيد درويش فى شهر زاد تقول :

" والرجل إذا رفع صوته بالغناء وجب أن يحس احساس الرجل ليؤدى أداء الرجل بكل ما فيه من رجولة . والمرأة إذا رفعت صوتها بالغناء يجب أن تحس احساس المرأة لتؤدى

أداء المرأة بكل ما فيها من أنوثة. والاماع غناء الرجل وشاه صوت المرأة، ولم يكن ما يؤديه أو تؤديه إلا أصواتا ممسوخة ينقصها المعنى والروح وكل ما يمثلانه من جمال فنى .

"كانت هذه عقيدة سيد درويش فى كل ما وضع وكل ما ألف . فكل غناء جرى على لسان رجل فهو الرجولة بكل معانيها ممثلة فى نشيد ، وكل لحن جرى على لسان امرأة فهو الأنوثة بكل معانيها تتساقط من لسان حسناء .

"ويأتى بعد ذلك الثوب الذى يلبسه النشيد من حزن أو فرح ، ورضى أو غضب . وكان سيد درويش يفرح فتفرح أناشيده معه ويحزن فتبكى أناشيده معه" .

وهـذا وصف صادق دقيق لسيد درويش وطريقته وألحانه أحسها كل من سمع هذه الألحان قديما أو سمعها الآن فى "شهر زاد" .

فأين من هذا ألحان تذاع الآن يغنيها رجل بينما المرأة تخجل من أدائها فى هـذا التكسر والتميع؟ أين هذا من : "تسمح تقول لى يانور العين — مايهونش — بلاش تبوسنى فى عنى" — أو "وحشانى موت — عمرى ما حقدر أنساكى — أنساكى وافتكرك تانى" وهى دغدغة وتكسر لا يأتيهما الرجل السليم !

وأين من هـذا أغنيات فرحة أو حماسية تلقى فى صوت نائح حزين مثل : "مين زيى شاف الهنا"؟ أو "نشيد العلم" أو "نشيد الجهاد" وهى عويل أولى أن تقام له المآتم والمناحات !

وتسأل أصحاب هـذه الأغنيات لم تفعلون بأنفسكم هذه الأفاعيل؟ فيكون الجواب : إن الجمهور يطلب هـذا الغناء المريض ؛ ويوردون لك إحصائيات عن عدد ما وزع من الأسطوانات الضعيفة المعانى والتلحين والأداء ، وعدد الاسطوانات التى وزعت من الأغانى المرتفعة قليلا فى لفظها وأدائها . ويحسبون أنهم جاءوا بالدليل المقنع للتعنتين !

أهؤلاء ناس ينتسبون إلى الفن ؟ أم تجار فى سوق ؟

إن أغنية تلبى الغريزة تطلب أكثر من أغنية تلبى اللذة الفنية والشعور السليم ... هذا بديهى ، ولكن ألا توجد معايير أخرى فى الدنيا غير هذه المعايير ؟

إن تجار المخدرات يربحون ، وتجار الرقيق الأبيض يربحون ، وغيرهم وغيرهم ممن يلبون أحقر ما فى الطبيعة البشرية يربحون ... فمتى كان الربح وحده هو الحجة الأولى والأخيرة ؟

وإنك لتسمع من تجار الأغانى أنهم لا يحفلون بآراء النقاد طالما أن الجمهور يقبل على أفلامهم ويشترى أسطواناتهم؛ فعقلية كهذه لا فائدة من إرشادها ، ولابد أن تستخدم الدولة سلطتها فى المصادرة والمنع ، رعاية لفطرة الشعب وأخلاقه وذوقه .

* * *

لقد استمع الناس إلى ألحان سيد درويش فأحس الجيل الجديد الذى لم يسمع من قبل إلا الغناء المائع أن ها شيئا جديدا يختلف كل الاختلاف عما اعتاد أن يسمعه ، شيئا فيه قوة وفيه لذة وفيه حياة .

لقد سمعوا : "أنا المصرى" وسمعوا "اليوم يومكم ياجنود" فأحسوا بالدم القوى يفور فى عروقهم ، وبالحماسة الفائضة تجرى فى نفوسهم . أحسوا أنهم مصريون ناهضون يرتلون نشيدا حماسيا ، وكان عهدهم بمعظم الأناشيد عويلا ونواحا فى الغناء الذى يتعتونه بالجديد !

وسمعوا لحن الأميرة شهرزاد ... وبقية الألحان التى تعبر عن روح خاصة فعرفوا كيف يعبر الجو الموسيقى وكيف ينبض بالحياة فى التمثيل ، وكان عهدهم بمعظم الأغانى أنها لا تعبر عن شىء خاص وليس فى ألحانها جو غير التكسر والعويل .

ومما يزيد فى قيمة هذه الألحان أن موضوع الرواية وجوها قد لا يساعدان على النجاح. ولكن الألحان برزت مع هذا بروزا واضحا يشهد بالقدرة و بالبراعة فنجحت الرواية ذلك النجاح العظيم .

وقد اعتدنا من كل ملحن فى هذه الأيام وكل موسيقار أن يسرق ويسرق؛ فكل مانطلبه منهم أن يعيدوا السرقة من "سيد درويش" نعم ليسرقوا فقط من هذه الكنوز حتى يفتح الله على مصر بموسيقار موهوب كسيد درويش .

* * *

إن هذه الأمة بخير ، فقبل أن يلهم الله القائمين على الفرقة القومية أن يبعثوا ألحان سيد درويش ، فتشت هذه الأمة عن فطرتها السليمة التى كاد الغناء المريض يقضى عليها ، فالتجأت الى الأغانى الشعبية الساذجة ، التى تنطق بالرجولة والقوة والسلامة ، وان كانت لاتعد شيئا فى عالم الفنون. التجأت الى هذه الأغانى الساذجة فانتشرت فى كل مكان ورددتها الألسنة وارتفعت بها الحناجر فى الطرقات ... وكان هذا فى نظرنا دليلا حاسما على أن خمسة عشر عاما لم تستطع أن تفسد مزاج هذه الأمة ولا أن تقضى على فطرتها القضاء الأخير .

فاليوم تبعث ألحان سيد درويش فتجد فيها هذه الفطرة خط دفاعها الثانى ، وتلجأ اليها من تلك المخدرات التى تصب فى آذان الناس صبا راضين أو كارهين . فعسى أن تجتهد محطة الإذاعة فى إذاعة هذه الألحان مثنى وثلاث ورباع ، عدد ماتذيع من الألحان الأخرى المتكسرة المتميعة ، وانها لتخدم الأمة بذلك أجل خدمة وترد عليها كنوزها المفقودة بعد الزمن الطويل .

والفرقة القومية ماذا نطلب اليها ؟ إننا نطلب أن تستمر فى خطتها الموفقة فتعيد جميع مسرحيات سيد درويش ، وتعيد على الآذان ألحانه المحبوبة وأغانيه الحية فى الحين بعد الحين .

ومرة أخرى نقول :

يا رحمة الله !

جئت فى أوانك ، فشكرا لله !

س . ق

أقوال فى الموسيقى

(١) قال أفلاطون : " من حزن فليسمع الموسيقى ".

(٢) وقال أرسطو : التذاذ النفس بالمحاكاة والألحان والأوزان هى السبب فى وجود النزعات الشعرية وبخاصة عند الفطر الفائقة .

(٣) وقال صاحب العقد الفريد : " قال الأطباء : إن الصوت الحسن يسرى فى الجسم ويجرى فى العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتمتلئ له النفس وتهتز له الجوارح ".